الباب التاسع عشرين

تولية إسكيا إسحق بن داود

وفى غداة يوم الأحد الثالث عشر من جُمادى الأول سنة ست وتسعين وتسعماية تولَّى السَّلطنة إسكيا إسحاق بن إسكيا داود ، وهو أول أولاده بعد دخوله السلطنة ، وأما محمد بان فلم يمكث فى السلطنة إلا سنة واحدة ، وأربعة أشهر وثمانية أيام .

وفى يوم السبت التاسع عشر من الشهر ، جاء مرسولُ إسكيا إسحاق إلى تنبكت بخبر ولايته ، وأشكل أمره على أهل تنبكت لأن بلمع فى الطريق . ولما صحَّ عنده أن إسحق تولَّى السلطنة جمع الجيشَ الذين معه فى موضع ، فبايعوه وولَّوْه إسكيا ، وأرسل مرسوله لأهل تنبكت وأمرهم بأخذ مرسول إسحق .

وبلغ يوم الاثنين إحدى وعشرين من الشهر ، فأخذوا مرسول إسحق كى أمر به وسجنوه ، وفرح كثيرٌ من الناس منهم تنبكت كى أبكر ، ومفشرن كى تبرت أكسيد، والكيد بن حمزة السناوى وأعملوا اللعب . أطلعوا الطبل فوق سطح الديار وضربوه فرحًا بولاية محمد الصادق ، لأن أهل تنبكت يحبونه كثيرًا ، فقد غرَّ نفسه وغرَّهم . ثم انقطع الخبر بين تنبكت وكاغ .

وروى عن الفقيه أبى بكر لنبار الكاتب وزير القلم أنه قال أن كاغ بعد تمام الأسبوع الأول من ولاية إسكيا إسحاق صار كل صاحب روح لم يكُنْ فيه من أجل خوف بلمع محمد الصادق ورهبته ، وأنه لَمَّا رأى ذلك وعلم أنه ذلك وعلم أنه وقَّاح ، وأن أول مَنْ يبدأ بتوقحه الطلبة والفقهاء لما يزعم أنه عالم .

فمشى إلى إسكيا وقت القائلة ، فدخل عليه وقال له : ما أتى بك فى هذه الساعة ؟ قُلتُ له : بارك اللهُ فيك ، وزيَّنَ أيامك منذ دخلت فى هذه الدار العالية ، ما سمعنا المالك الثانى لأهل سغى .

قال لى إسكى الفُع [1] : هذا الذى ما عرفت ولا سمعتُ به قبل ، وهل لأهل سغى مالك ثانٍ ؟ قلت له : بارك اللهُ فى عمرك كائن ، وهو الذى يوطىء لك رقابَ

---

(١) الفع : معناها الفقيه أو المعلم .

الناس خارجًا ، وأنت فى داخل قاعد . فأخذتُ أعدد له من عهد جده إلى زمن إسكيا محمد بان ، فقال لى : هذا تعنى . قلت له : نعم بارك الله فى عمرك . قال : الذين يكون أهلاً لهذا ما عرفتُه فى هؤلاء القوم .

قلت له : لا تَقُلْ ذلك ما زالت البركةُ فى وجه الأرض ابناك عمر كت بن محمد بنكن ، ومحمد بن إسكيا الحاج فيهما جميع البركة ابعث لهما فى المجيء فى هذه الساعة ، وعاملهما بالخير حتى يغرقا فيه ، فبعث لعمر كت أولاً ، ويسكن معه فى داره مُربِّيه وصيف والده ، وهو أشد منه بأساً وشجاعة ، فخاف من تلك النداء فى تلك الساعة خوفاً شديدًا ، فمشى فزعًا مرعوباً ، وبقى زربى فى الدار مرعوباً .

فلما امتثل بين يدى إسكيا قال له : ولدى عمر من يوم رفعتُم التراب هنا ما رأيتُك بعد إلا فى هذه الساعة ، أما علمتم أن هذه الدار دارُكم ، وما دخلتُ فيها إلا لأجلكم ، لا ينقطع رجْلُكَ عنِّى فأعطاه من كلِّ جنس خيرًا كثيراً من اللباس (الملابس) الفاخرات ، والزرع ، والودعة وغيرها .

أعطاه حصاناً من خيل ، سرجه فرفع التراب [1] ، وخرج مُسرعًا لداره ، وأدرك فى الغم والكرب ، الذى لا يعلمه إلا الله تعالى ، فلمَّا دخل عليه قال له : ما هنالك . قال : مُتْ . قال له : فداك نفسى أموت دونك عجِّل لى بالخير . قال له : اصبر حتى تنظر .

فدخل مراسيل إسكيا بجميع العطايا ، فقال زبيا : أمن هذا كنت لا تموت منها ، ففى أىِّ شيء نموت ؟ والحر لا يموت إلا فى الخير لا تزال تموت بمثلها وأنا سابقٌ قبلك فيها ، ثم دعا محمد ولد إسكيا الحاج ، وفعل له مثل ذلك الفعل .

وفى الغد تحزَّم عمركت ، وركب حصانه ، وجاء إلى دار إسكيا وهو فى ناديته ، وجماعته متوافرةٌ فيها ، تحرَّك حصانه فأقبل وأدبر حتى أتم العادة ، ثم تكلم بعد ما دعا . وقال لوند : قُلْ لإسكيا هؤلاء الجماعة أهل سغى يقولون ما لا يفعلون . وهم الذين يُمسكون الماء والنار فى أفواههم ، وكلُّ منْ تكلم لك هنا أول مرة ما تكلَّم بصدق ، وها هو سالكٌ آتٍ غدًا ، وإذا تلقينا معه هذه الحربة التى أجعلها فى كذا

---

(١) رفع التراب : تحية إفريقية ، وهى تعفير الوجه بالتراب أمام الملك .

أمه، فكلُّ مَنْ كان على صدق فليقُلْ مثل هذه المقالة فتفرقت الجماعة ، وتحزَّموا ، وتكلَّم الجميعُ بمثلها .

وفى يوم الجمعة الثامن عشر من جُمادى الأول . نزل بلمع محمد الصادق بجيشه فى كنب كرى ، وبُنيت قباؤه فدخل فيها ، فأول منْ آتاهم هنالك مارنف الحاج المذكور ، فلما رأى قباءه حرَّك حصانه وأجراه حتى دنا إليهم فصاح ، وقال ابن سالك فرمى القباءَ بالحريش [1] حتى كادتْ تطيح وهو فى داخله ، فكر راجعًا .

ثم جاءت كتيبةُ التوارق ، ثم انثال خيل إسكيا إليهم كجراد منتشر ، فقام بلمع وأصحابه وأقاموا عصيهم ، وتهيئوا للقتال فحرَّك ، وأجراه قاصدًا جهة إسكيا إسحق فتلقَّاه عمركت ، ومحمد ولد إسكيا الحاج فرماه عمركت على رأسه بالحريش.

فطار الحريش إلى السماء لأجل المغفر الذى على رأسه فقال : ولدى عمركت أنت الذى رميتنى بالحديد . فقال له : تنكر . وهى كلمةٌ يعظم بها بلمع ، وكرمن فارى ما كان منا أحدٌ إذا جعله إسكيا فى مرتبتك هذه إلا أنْ يُصلحها فانكسر قلبُه فرجع إلى مُقامه ، ثم لم يزل يقاتل وأصحابه مع جيش إسكيا طول ذلك الوقت حتى انهزم ، فولَّى هاربًا إلى تنبكت .

فرجع إسكيا إلى داره ، ثم اتبعه الرجال ، وأمر بقضبه [2] أينما سلك . وأما أهل تنبكت فلم يكُنْ عندهم خبرٌ بما جرى بينهم ، إذ جاءهم بلمع سالك بنفسه يوم الأربعاء الثامن والعشرين من جُمادى الأول المذكور . وأخبرهم بانهزام جيشه وأخبر أنه بينما هو يوم الجمعة فى كب كرى ، إذ سطع عليهم غبارٌ عظيم من جيش عظيم لإسكيا إسحق فالتقوا واقتتلوا من الضحى إلى وقت الغروب ، فمات بينهم خَلْقٌ كثير فحينئذ وليت مُدبراً مع هنبركى ، وبركى ، وباغى فارى بكر ، وكلهم مجروحون سوى باغن فارى وحده .

ثم جاء سالك إلى تندرم فقطع البحر إلى جهة كرم ، ومعه هنبركى منس وابن فرم دك فلحقهم الرجال الذين فى أثره فقبضوهم فجاءوا به إلى كنت . وقتلوا سالك ،

---

(١) الحريش : هو سهام صغيرة ، كانت تُستخدم فى سنغاى .

(٢) قضبه : وضعه فى القضبان .

وبن فرم دك فيها بأمره ، ودفنوهما فى مجاورة بنكن وهادى ، والقبور الأربعة هنالك معروفة .

وأما هنبركى فجاءوا به إلى عند إسكيا فجعله فى سنكور [1] ، وخيط عليه جلد بقر ، وجعله فى حفرة اصطبله طولها قامتان ، فرُدمتْ بالتراب حَياً ، فمات منها والعياذُ بالله من الرجال وأرسل مراسيله إلى تنبكت فى قبض مفشرن كى تيرت ، وتنبكت أبكر ، وأمرهم أنْ يقوموا هنالك .

أما الكيد بن حمزة فقد غض عنه لأنه تاجر مسكين فضولى لا عبرةَ له ولا مبالاةَ ، فقال ولىُّ الله تعالى السيد عبد الرحمن الفقيه محمود : لو كمل عفوه فيها لا عبرة ولو بهما عند قدره . فلما رجع المراسيل بهما إليه قتلهما ، فأخذ يبحث عن أتباع سالك فى الفتنة فقتل كثيراً ، وسجن كثيراً ، وضرب كثيراً بالسير المفتول الثقيل .

وأما محمد كى أجى ولد يعقوب فمات تحت الضرب ، وأما يعقوب ولد إدينند فجيء به بين يديه ، فجعل يشكو بصوت خفى ، فقال له وند : ارفع صوتك يا بن مولاى . أهكذا نتكلم بين يدى سالك ، فرفع صوته حتى جاوز الحدَّ يريد له البلاء بذلك ، ثم ضُربَ حتى كاد أنْ يموت ولم يكُنْ أجله فيها .

وسجن أزوفرم بكر بن يعقوب فى كير ، فسرحه الباشا محمود بن زرقون وسجن بركى ، وكل شاع بكر فى موضع واحد . فسُرحا فى فتنة الباشا جودار ورجعا لبلادهما ، وفى سلطنتها بلا أمر أحد ، ثم أتى بيبكر بن الفق ذنك ، فلما امتثل بين يديه قال له : يا هذا الكيشا الذى ما صاب مقاماً طول عمره الذى يستر شيبه فيه بعمامة .

ثم قال : هاتوا كرزى [2] . فجيء به . فقال : خُذْهُ واستر به هذا الشيب السود جعل ذلك إهانة ، وتصغيراً وهو مُلسنٌ عارفٌ بالشتم والتعييب جداً . فبقى كيشا لقباله ، ثم جيء بكركا منذ سرك ولد كلشع إليه . فقال له : يا شيخاً جوّالاً فى الفتن ما تخرج فى يدى حتى تعدل جميع الفتنة التى دخلت فيها واحداً بعد واحد . فقال : ما افتضحت فى إحداهن مثل افتضاحى فى هذه فضحك وقال : اذهب مُعافى لوجه الله تعالى .

---

(١) سنكور : نوع من الطين عندما يجف يصبح مثل الأسمنت .

(٢) كرزى : نوع من غطاء الرأس .

ثم جيء بسعيد مار وهو ضعيف ، نحيف جداً ، متكلم ، مُلسن يأكل أعراض الناس ، فلما امتثل بين يديه قال : انظره إذا جلس على طرف القضيب يجلس ، وإذا غرس لسانه فى الحجر يثقبه ابن كنك فرم فجاء وقال : اذهب به وبرح عليه من أول البلد إلى مُؤخره إنْ وجده جالساً فى وراء دار بت ، أو لقيه سائراً فى البلد نصف الليل ، أو أخَّرها فليرْمه بالحديد ، ودمه هَدر ، ومنْ تركه ولم يقتله فقد ترك عدو الله ورسوله ﷺ وترك عدوى ، فطاف به البلد كما أمر حتى حاذى به الجامع الكبير ، حبذ نفسه من الربوط الذى فى قربوس [1] البراح ، فدخل الجامع لطلب الشفاعة .

فبلغ الخبرُ الإمامَ ، فمشى إلى عند إسكيا للاستشفاع ، فأمر بمجيئه وقال الإمام : اذهب فقد عفوت عنه . وقال للإمام : لا تذهب ، وبقيتْ شفاعةٌ واحدة أريد فى حُرْمتك ، وفى حُرْمة الجامع كما برح على بهدر الدم أن يبرح بالعفو ، فيسمعه الناسُ جميعاً لئلا يقتلونى باطلاً ، واعدانى لبر فى كاغ . فضحك إسكيا وبالغ فى الضحك ، وأمر له بذلك فأخذ مرة فى هذا البحث حتى أتم مراده فى أولئك الجماعة .

ثم ولى محمود بن إسماعيل كرمن ، وجعله كرمن فارى . وجعل أخاه محمد كلغ بلمع [2] ومحمد هيك بن فرن عبد الله بن الأمير إسكيا الحاج محمد بنك فرم . قد أعطاه الله تعالى وأخاه تنطى برم تلت من الجمال الفائق التى لم ير الراؤون مثلها فى أهل سغى أجمع . حتى إذا جاءوا لتنبكت يتبعهم الناسُ لرؤية تلك الجمال ، وجعل يشب ولد سابى ول فارى منذ . والحسن تنبكت كى ، وأكمظل أخ تد كمرت مفشرن كى ، فهو والحسن آخر السلاطين فى قومهما فى دولة أهل سغى .

أما الحسن فدخل فى طاعة العرب . وأما أكمظل فلم يدخل فيها حتى توفى ، ثم قتل أخاه ياسى بربير بن إسكيا داود ظلماً وعدواناً ، فسعى به عند خاصته باى فرم بان أجى ، وذكر أنه يطلب السلطنة وهو من خيار أولاد داود ، وأحسنهم خلقاً ، وأعظمهم عفة ، ولم يعمل فاحشة قط ، وهذا معدوم فيهم بالكلية .

---

(١) قربوس : سرج الفرس .

(٢) بلمع : أمين الدولة .

وأما باغن فارى بكر فرجع إلى تندرم ، ودخل فى حُرمة الفقيه القاضى محمود كعت أنْ يشفعه عند إسكيا إسحق ، فأنكر عليه ذلك ولده ماربا فتحولتْ عزيمته ، وخرجوا عامدين كل فسكنوا فى بلد يُقال لها مدينة إلى مجيء محلة الباشا جودار .

ثم تُوفى دند فارى بكر شيلى أجى فى زمنه ، وجعل خلفه دند فارى المختار ، وتوفى كلشع الذى ولاه إسكيا محمد بان ، فجاء كنتى منذ الحسن إلى سغى يطلب الولاية ، فبقى فيها إلى أنْ جاء الباشا جودار وانقلبت الدولة .

(غزوات إسكيا إسحاق)

وفى السنة السابعة والتسعين بعد تسعماية غزا إلى نمتنك كفار كرم ، فمات فيها بنك فرم محمد هيك ، فلما رجع إلى كاغ جعل خلفه عثمان درم فرن بن بكر كرن كرن ابن الأمير إسكيا الحاج محمد ، وهو كبير السن يومئذ جداً . فقال الإسكيا : لولا أن كرامتك لا تُرد ، لا أقبلها لأجل كبر سنى لأنى فى الأربعين فارسًا الذين اختارهم إسكيا إسحق بير فى كوكيا ، لإيصال ابنه عبد الملك لدار الخطيب فى كاغ لمّا يئس من الحياة فى مرض موته . نعم فقد صدق لأن إسكيا إسحق هذا ما زال ما خلف بعد .

(وفاة جدة المؤلف)

ثم غزا فى السنة الثامنة والتسعين والتسعماية إلى تنفن كفار كرم أيضاً . وفى أوائل ذى الحجة المكملة السنة المذكورة تُوفيَّتْ جدتى أم والدى فاطمة بنت سيد على بن عبد الرحمن الأنصارية ، ودُفِنتْ فى مجاورة بعلها جدى عمران رحمهم الله تعالى آمين .

وفى سنة التاسعة والتسعين والتسعماية عزم على الغزو إلى كل ، وهو فى شُغل من أمرها ، إذ ورد خبر بمحلة الباشا جودار فشُغلَ عنها ونسيها ، ونبذها وراء ظهره .

(فترة حكم إسكيا إسحاق)

ومن حين تولى إسكيا إسحق إلى يوم انهزم جيشُه فى ملاقاة الباشا جودار ثلاث سنين وأربعة وثلاثون يوماً ، ومن الانهزام إلى مقاتلته مع الباشا محمود بن زرقون فى زرزن ستة أشهر وسبعة أيام ، وسيأتى تواريخ ذلك إن شاء الله .

(عزل الإسكيا إسحاق)

وفى أوائل العام المُكمّل لألف عزله محمد كاغ ، وتولى السلطنة على أهل سغى ، ولم يمكث فيها إلا أربعين يوماً فقط ، فقبضه الباشا محمود وانعزل . ولكن ما عرفنا كم تأخر إسحق بعد وقعة زرزن إلى يوم عزله محمد كاغ .

تتمة

أما الأمير إسكيا الحاج محمد بن أبى بكر فأولاده كثير ذكورًا وإناثاً وفيهم من يسمون على إسم واحد . منهم إسكيا موسى ، وموسى ينبل ، وكرى فرم موسى وله عثمان ثلاثة : كرمن فارى عثمان بوباب ، ومور عثمان سيد ، وعثمان كنكر . وله محمد ثلاثة : مور محمد كنب ، محمد كدر ، محمد كرى . وسليمان ثلاثة : سليمان كتنك ، وبنك فرم سليمان ، وهو آخر أولاده فى سجنه فى الجزيرة المسماة كناك ، وسليمان كنكاك .

وسليمان كند كرى وله عمر ثلاثة عمر كوكيا ، وعمر توت ، وعمر بويع . وله بكر ثلاثة : بكر كور ، وبكر سين فل ، وبكر كرن كرن . وعلى ثلاثة : على واى ، على كسر ، وبنك فرم على بند . وآخرون .

ومن أولاده أيضاً هار فرم عبد الله ، وفرن عبد الله شقيق إسحق بير ، وإسكيا إسماعيل ، وإسكيا إسحاق ، وإسكيا داود ، وكرمن فارى يعقوب ، والطاهر ، ومحمود دكر ، ومحمود دند ، وبنك فرم حبيب الله ، وبلمع خالد ، وياسى ، وإبراهيم ، وفامع ، ويوسف كى ، وآخرون .

(بنات الإسكيا محمد الكبير)

ومن بناته ويزبان . وويز أم هانى ، وويز عائشة كر . وويز حفصة . وعائشة ينكن أم بلمع محمد كرب . وعائشة كر أم بلمع محمد . وعو وبنش . وحاوداكى أم هنبركى منس . وحاو آدم بنت تنبار . ومك مور . ومك ماسن . وفراس أم درمكى مانتكى . وكير شقيقة إسكيا إسماعيل . وسف كر . وددل ويانا هسر . وفت هند أم عبد الرحمن فت أجى . وفت وين وكر فوجل والدة سيدكر .

(نسب الإسكيا محمد الكبير)

أما أبوه فاسمه أبو بكر ، ويُقال له : بار . قيل : إنه طورنك [1] . وقيل : إنه سلنكى، وأمه كسا . إخوانه كرمن فارى عمر كمزاغ ، وكرمن فارى يحى وأما أخوه عمر فله من الأولاد : إسكيا محمد بنكن . وكرمن فارى عثمان تنفرن . وبنك فرم على زليل . ومحمد بنكن كوم . والفع دنك .

وإسكيا موسى أمه زار كبرنكى ، وهى جارية كيركى أولاً فولدت له ابناً فكان سلطاناً . ثم أصابها الأمير إسكيا محمد الحاج فى السبى قبل أنْ يكون سلطاناً فولدت له إسكيا موسى . ثم أخذها منه بس كى فى المعركة بينهما فولدت ابناً فكان سلطاناً فى بص .

وإسكيا إسماعيل أمه مريم داب وانكرية . وإسكيا إسحاق بير كلتوم درموية . وإسكيا داود أمه سان فارى ، ابنة فاركى ، وإسكيا محمد بنكن أمه آمنة كرى . وإسكيا الحاج ابن داود أمه آمنة واى بردا . وإسكيا محمد بان أمه إمس كار . وإسكيا إسحق زغرانى ، أمه فاطمة بس الزغرانية . والهادى أمه زابيربندا . وكرمن فارى عثمان يوباب أمه كمس ميمنكى ، وعثمان تنفرن أمه ثات زعنكى . وكرمن فارى حماد أمه أريو أخت إسكيا الحاج محمد الأمير ، وأبوه بلمع محمد كرى ، وأخوه ماسوس والد محمد بنش أجى .

وأما كرمن فارى الأول ، فعمر كمزاغ ، ثم يحى ثم عثمان يوباب ، ثم محمد بنكن كريا . ثم أخوه عثمان تنفرن ، ثم حماد أربو بن بلمع محمد كرى ، ثم على كسر ، ثم داود ، ثم كشيا ، ثم يعقوب ، ثم مركن ، ثم الهادى ، ثم صالح ، ثم محمود بن إسماعيل ، وبلمع الأول محمد كرى قتله إسكيا موسى حين ذهب إلى منصور .

ثم محمود ندمى ابن الأمير إسكيا الحاج محمد ، ثم حامد بن إسكيا داود عزله إسكيا محمد بان ، ونفاه إلى جنى حتى مات هنالك . ثم محمد الصادق ، ثم عمر كمزاغ ، وبنك فرم الأول على يمر ، ثم بل ، ثم باركر والد آمنة قاى أم إسكيا الحاج ، وليس أهلاً لهذه المرتبة ، ثم على كند نكتى ابن الأمير إسكيا الحاج محمد أمه مولدة أجر أهل كيس ، وليس بناجم .

---

(١) طورنك : نسبة لجبال تورا .

عزله إسكيا إسحاق ، وسكن فى موالى أمه ، ثم بكر بير بن مور بن إسكيا الحاج فأخذه فيها كثيراً ، ثم على زليل العدل ، ثم سليمان كنكاك عزله إسكيا الحاج ، ونفاه إلى جنى حتى مات فيه ، ثم محمود بن إسماعيل ، ثم محمد هيك ثم عثمان درفن .

(أبناء إسكيا داود)

أما إسكيا داود فله من الأولاد كثير ، ذكور وإناث . ومن الذكور ستة كلهم اسمه محمد : محمد بنكن ، والحاج محمد ، ومحمد بان ، ومحمد الصادق ، ومحمد كاغ ، ومحمد سرك أجى . وهارون اثنان : هارون دنكتيا ، وهارون نات تراجى ، ثم حامد، ثم الهادى ، ثم صالح ، ثم نوح ، ثم المصطفى ، ثم على تند ، ثم محمود فراراجى ، ثم إبراهيم ، فصار إلى مراكش ، ثم دك ، ثم إلياس كوم ، ثم سحنون ، ثم إسحق ، ثم إدريس ، ثم مارنف إسا ، ثم الأمين ، ثم ياسى بريـر ، ثم سن ، ثم سليمان زو ، ثم ذو الكفل وآخرون .

ومن الإناث بت زوجة مفشرن كى محمود بير الحاج بن محمد الليم . وكاسا زوجة جنكى . وينبعلى فصارت إلى مراكش . وفت زوجة ساتنك . وويز حفصة . وويز أكينبو . وحفصة كيمر . وقد زوَّجَ منهن العلماء ، والفقهاء ، والتجار ، وكبراء الأجناد كثيرات .

وأما ابنه كرمن فارى محمد بنكن فله من الأولاد فيما نعلم أربعة ذكور : عمر بير ، وعمر كت ، وينب كير أجى ، وسعيد ، فصار إلى مراكش وجعل إسكيا هنالك، وهو فيها إلى الآن .

وأما ابنه إسكيا الحاج محمد فله من الأولاد فيما نعلم ثلاثة اثنان ذكور محمد وهارون الرشيد . فكان إسكيا فى دولة العرب الثالثة التى أسَّسها فت نور ، فصارت إلى مراكش فماتتْ فيها كما مات الباقون .